الفصل الخامس

إستهـــلاك التكنـــولوجيا

- قال العالم «آرنوفيتش» (Aaronovitch) سنة ١٩٩٦م «بأننا نعيش فى عالم زاخر بالسكان بمشاربهم المختلفة التباين» . ففى سنة ١٩٩٦ م هى عندها ثلاثة أفراد يقطنون معها . فأختها مشغولة بمشاهدة القناة الرابعة من التليفزيون فى الطابق الأسفل حيث يمكن لها أن تختار واحدا من الفيديوهات العديدة لعالم «ديزنى» المثير للحفاظ على ممارستها فيما يتم بالطابق العلوى . ووالدها مشغول بدراسته بكتابة مقالة على الكمبيوتر والتى سوف يرسلها بعد ذلك عن طريق الفاكس لأماكن متعددة . ووالدتها دائماً مشغولة بالتحدث التليفونى فى جهاز المحمول (Mobile) أو هى يمكن أن تتزمر ، والوالد ينتظر إستلام الكمبيوتر الجديد مع أحد برامج الذاكرة للقرص المضغوط والتى نصحت به الوالدة فى إقتنائه وإضافة بعض الشىء لما يسمى بالشبكة (Net) . وهو يود أن يبعث رسالـة عن طريق الشبكة وهـى تسمع المحادثة بين والديها والذين يعارضون بشدة تلك المناظر المعروضة والتى تعتبر بمثابة طوفان من المعلومات الإلكترونية الحادثة» .

- إذا كنا نعتقد بكل شىء نقرأه فى الصحف ، وما نراه فى التليفزيون فلن نأخذ وقتاً حتى نقتنع بأن مجتمعنا الإستهلاكى فى جوهره مجتمع تقنى ، عالم يقرب بين الحقيقة والخيال الإنسانى . فقد اهتمت التكنولوجيا بأشكال صميم التحويلات الثقافية التى ولدت التغييرات المذهلة فى كل نشاط ثقافى وسياسى مما يعد تركيباً منطقياً لطبيعة الأشكال المعاصرة (أبحاث Silverstone & Hirsch) (هيرش ، سيلفرستون) سنة ١٩٩٢ .

- هناك علاقات وثيقة بين الإستهلاك والمعلومات والإتصالات التكنولوجية أصبحت المفتاح للتراث الشعبى البيئى بحيث تبين أثر التكنولوجيا على المجتمع المعاصر وعلى المستهلكين والإستهلال ، مع سحر الإغراء الذى لا يقاوم لظاهرة النزعة الإستهلاكية (Consumerism) مع الإستهلاك التقريبى كعملية حيوية .

إستهلاك تقريبى او اسطورة تقريبية ؟

- تعتبر تلك القضية بشكل مجرد ذات قبول حتمى من المشاركة الظاهرية كأساس مستقبلى من الناحية التقنية ، بحيث يعد فيض النظريات والمعتقدات الجديدة كبصائر فنية تقدم أعمالاً تكنولوجية ذات مردود اقتصادى وسياسى ، أكثر من

كونها إحساس حرفـى كان من غير المعقول تحقيقه ، ويستحيل تصوره من قبل ، بحيث دفعت المجتمع إلى التغيير التاريخى والتنويع الإجتماعى .

- فقد لعبت التكنولوجيا الجديدة الدور الحقيقى فى البناء المعاصر كأساليب حياة المستهلكين ، وإنشاء قاسم إجتماعى ممكن ، وكمظهر واحد من الإستهلاك التكنولوجى بشكل ثابت كإيضاح للطبيعة الديمقراطية وظهور التكنولوجيا الجديدة هى «شبكة الإنترنت» ، فالسياسيون ومعلقو الأوساط متشابهون فى حساب المستقبل الخيالى الذى تلعبه تلك الشبكة كدور رئيسى للحاسبات فى مجال الإستهلاك التكنولوجى والمستهلكين وخلق امتيازات لهم .
- وذلك قد أوجد فارق إستهلاكى بين من يمتلك تلك التكنولوجيا ومن يفتقر إليها بما يتطلب الإلمام بالمعرفة التكنولوجية الخبيرة ، مما خلق مجتمع طبقى من الناحية التكنولوجية مما أحدث تغييراً مجتمعياً .
- ومع تقدم العلوم والإكتشافات بدأت فوائدها تظهر فى المجتمع على شكل منتجات ، بحيث وضح من خلال هذا التغيير الإجتماعى ضرورة إنشاء نوع جديد من المجتمع فقد تحدد فى الغالب من الإنتاج الرأسمالى والذى أثر فى الحصيلة التكنولوجية والثقافية الإجتماعية .
- وفى الواقع فإن المجتمع له تأثير على طبيعة التكنولوجيا أكثر من تأثير التكنولوجيا على طبيعة المجتمع ، حيث أنها عملية دورية بوجود تكنولوجيا تعيد الإنتاج – بشكل ثابت – للمتبنين للمعتقدات الإستهلاكية الخاضعة للأولويات الإقتصادية .

هل المجتمع المستهلك للصناعة الفائقة «مجتمع معلومات»؟

- إن هناك أنظمة تقنية عبارة عن مشاريع إقتصادية متضمنة بشكل مباشر أو غير مباشر الدخول فى سباق السوق والتسوق ، حيث يوجد تغيير تقنى يفرض عليهم أن يعيشوا فيه ، وتلك الأمور لها حتمية الاستمرارية فى التزود التكنولوجى مما يؤثر على دور التكنولوجيا فى المجتمع الإستهلاكى ، والمجتمع الصناعى ، والمزج بينهما فى نسيج واحد متكامل وخلق هذا الصنف من المجتمع المعاصر والمستقبلى .
- إن طبيعة المستهلك المتفوق صناعياً تجعل من التكنولوجيا والخبرة تبادل إجتماعى للحياة المعاصرة يستند على أسس عصر المعلومات والتقنية المتطورة الذى يهتم بالتقدم والتطور الصناعى المتعدد فى العلم والتكنولوجيا ، وذلك بالتأكيد على تحسين وتطوير السلع والبضائع والخدمات ، مما يدفع للإتجاه نحو الأولويات فى الإبتكار الثقافى السابق التخطيط عن طريق العلم والتكنولوجيا

والإقتصاد ، والتكامل بينهم فى تبادل الدور المهنى والتقنى والذى يلقى بتأثيره فى صناعة القرار الجديد للمجتمع ، والتزود بالدور العقلى فى المعرفة النظرية فى طليعة الإبتكار والسياسة ، مع امتداد المعرفة النظرية كأساس محورى وكمبدأ مجتمع صناعـى فائـق ، يمكن فيه الموائمة بين الآلة والإنسان والبضائع والسلع ، وبنظم المعرفة ، والإرشاد ، والتغيير ، وإقامة علاقات إجتماعية جديدة وتراكيب جديدة ، يجب أن تدار بشكل سياسى ، ويجعل هناك هويات بشكل جزئى كثورة تكنولوجية جديدة ذات سياق إجتماعى وسياسى محدثة لثورة ثقافية بارزة لتحقيق الربح والإمتياز البيئى للسلع الإستهلاكية فى مجتمعنا المعاصر وخلق طبيعة تكنولوجية إستهلاكية .

إستهلاك الحسابات المنزلية :

- يعتبر الكمبيوتر المنزلى كواحد من أكبر المنتجات الإستهلاكية الواضحة ، والتى تزيد من مواقع الجهد الثقافى المستمر ، يظهر فيها الآلة الحديثة وإستعمالاتها الملائمة ، بحيث تحدد بشكل بارز العلاقة بين التربية والترفيه من خلال أجهزة الكمبيوتر.
- وعلى الرغم من التمارين الترويجية لصناعة الكمبيوتر ، فإنه قد وضع فى الحسبان التوجه لإستهلاك الطبقات المتوسطة بحيث تدخل تلك الأجهزة ، وهذه التكنولوجيا كل بيت بحساب إقتصادى وإستهلاكى دقيق مراعاة لشعور تلك الطبقات المتوسطة يدون إثارة الضجة ، أو الضغط على الدخل العائلى للأسرة ، ومراعاة لمتوسطات الميزان الإجتماعى التى يسير بالتبعية وراء التقدم التكنولوجى .
- إن الموارد المادية تلعب دوراً أساسياً واضحاً فى حياة المستهلكين وذلك للإستفادة من خبرة تكنولوجيا الكمبيوتر ، مما جعل من الكمبيوتر المنزلى بمثابة إصالة فى المظهر ، وشكل عقلانى ، وإستجمام ، وبروز غد جديد ، ومحادثات بين الأوساط الصناعية والإجتماعية والحكومات حول «عمر المعلومات» وظهوره للضوء ، وإمكانية الفوائد التربوية لتلك الحسابات ، والتى يمكن لنا تزويد الأطفال بها بشكل تدريجى كألعاب ودراسة بعد معرفة لوحة المفاتيح لهم.
- إن الدور الكبير لشركات البرامج لتلك الحسابات قد أصبحت مدركة للإمكانيات الهائلة لتسويقها ، بحيث تراعى فيها إمكانية حجز تلك المنتجات من ناحية منتجو الأجهزة ومستهلكوها ، حتى إنه يعد من حقبة الثمانينات فى الولايات المتحدة وبريطانيا بعد دخول تلك الأجهزة الدقيقة كركن أساسى فى حسابات التربية الأساسية ، ومحطات (B.B.C) البريطانية، مدى أهمية قسم الإنتاج بين الشركات وبصفة خاصة شركات (IBM) ، مايكروسوفت (Microsoft)

- وهكذا لعب البحث العلمى دوراً كبيراً فى إظهار أن التكنولوجيا مساعدة للرأسمالية فى إستكشافها الأسواق الجديدة ، والتنويع بين الجدية والمرح للحسابات بطريقة مثالية ، والتخطيط الصناعى للقسمات الإجتماعية ، وحساب المصمم الذاتية التى تبقى مرتكزة على الموسر بشكل نسبى ، والعائلة المتعلمة بشكل جيد ، والطبقات المحترفة والإدارية بشكل أساسى ، مع الأخذ فى الإعتبار التطلع لبقية السكان بشكل أكبر لإمكان مشاركتهم بشكل محترف مما يعد مساهمة فى الإشتراك الديمقراطى لتلك الطبقات من المجتمع ، فإن الوصول إلى تحقيق المذهب المدنى فائق الحضارة يتمثل فى تحقيقه لإزدياد الإستهلاك من أجهزة وبرامج الكمبيوترات وتشجيع هذا الاتجاه لتحقيق «عالم إستهلاك الحسابات الإلكترونية» (الكمبيوترات وبرامجها العديدة) .

التلفزيون كتكنولوجيا :

- خلق التلفزيون مضامين معينة بين من ينتجون تلك الأجهزة ، وبين من يستهلكونها ، من خلال التكنولوجيون ، والأوضاع المحلية خلال أنماط الإستعمال والعرض ، فهو يفصل بين أسلوبين من المعانى ، أجهزة خلقت من قبل المنتجين ، والمستهلكون الذين يركزون حول البيع والشراء لتلك الأشياء لإستعمالها كأسلوب للعرض ما يتعرض لعضويته فى المجتمع أو هيكله المجتمعى ، ومعانى حملت من قبل التفاوض حول تحويل التكنولوجيات المعروضة باستخدام الوقت والفضاء فى تطويرها ، وتطوير استخدامها وتطوير تكنولوجيتها لتلبية رغبات المستهلكين كمشاهدين ، ولعكس الإنتقال التاريخى لإستغلال وقت الراحة «كخادم مطيع» ، وإشاعة المصدر الثقافى لهذا الجهاز ، و«قتل الروتين الممل للحياة» ، ومن ثم إستعمال التقنيات المتطورة فى وسائل الإرسال والإستقبال ، وإستخدام القمر الصناعى ، وأجهزة العكس والإستقبال فى زيادة سعة وفترة الإستقبال ، وكذلك فترة الإرسال التليفزيونى ، وزيادة قنوات الإستقبال المتوافرة ، وإرساء قواعد جديدة لإضفاء الخبرة العلمية والتكنولوجية والسلوك الإجتماعى السلس والجديد بحيث ينظم الحياة اليومية لأفراد المجتمع بحيث لا يستعمل فقط «كتكنولوجيات إستهلاك» ، بل كتنشيط وترجمة لمشاعر المستهلكين ، وإحساس بالتكنولوجيا ، والتفاعل مع رغباتهم الحياتية التجارية والإستهلاكية للمنتجات .

- إن إستهلاك التكنولوجيا يمكن أن يحول الحياة الإجتماعية إلى مشروع يوصف بأنه «مشروع تسليم المستهلك لمعلنين» مما يؤثر على الدور الذى يلعبه التليفزيون وأجهزته المساعدة والقمر الصناعى والمحطات للإستقبال والإرسال ، وإستغلال الفيديو ، جعل المستهلكون يترقبون ، ويرقبون إزدياد وريادة تلك الصناعة ككل بصفة عامة .

- ومن هذا فإن صناعة التليفزيون دعت الناس إلى إستعمال قطعة جديدة من الخبرة التكنولوجية الإلكترونية لمشاهدة أنماط للمشاهدات الجديدة وتسجيلها، والإقتراب الخصوصى لعقلية المشاهدين وحاجاتهم والفت فى الوصول إلى عقلياتهم وقلوبهم ، مما جعل السيطرة على إستهلاك التكنولوجيا عبارة عن حوار بين مشاهدى التليفزيون وبين معدى البرامج أنفسهم ، مما أوجد إستراتيجية للإعداد الصناعى لهذه النوعية من الإستهلاك تخلق بيئة تأثيرية لتدعيم دور المشاهد فى الإقامة فى المنزل لأطول وقت ممكن ، ودعم أخلاقيات معينة ، ونزعة إستهلاكية لإستهلاك تيار من الإبتكارات التقنية ذات الفوائد المتعددة .

علاقة التكنولوجيا والإستهلاك :

- وضح لعلماء الإجتماع أهمية النزعة الإستهلاكية فى الإحساس بالتطورات الحادثة فى التكنولوجيا بوضوح ، ومدى أهميتها بالنسبة للمستهلك ، فى جلب وتنويع وتطويع السلع الإستهلاكية لخدمة الناس بواسطة الخبراء التقنين المهرة ، مما أوجد حاسة تكنولوجية ديموقراطية ، والأخيرة تهاجم صميم الأسعار من قبل أماكن تواجد الأسواق صعوداً وهبوطاً ، بتأثيرات عوامل العرض والطلب ومرونتها .
- لقد أخترقت التكنولوجيا أجواز الفضاء المحلى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بصلة وثيقة إلى الآفاق العالمية فظهرت سلع كثيرة مختلفة الماركات الصناعية لإرضاء أذواق المستهلكين ، وإستعمالات كل منزل على مستوى الكرة الأرضية مثل الثلاجات ، ومستلزمات الطعام ، والطباخات الحديثة وغيرها الكثير ، وبحيث تستغل تلك النوعية من التكنولوجيا المؤثرات الضرورية للناس وللطلب الرأسمالى ، مع تطبيق التكنولوجيا فى الإنتاج ، والتى تظهر المقاييس اللازمة لزيادة التغير فى حياتنا اليومية خلال العالم المتطور .
- إن الأهميـــة المتزايدة للخدمات بالكامل قد ألغت الفجوة بين الإستهلاك والإنتاج ، لدرجة التحذير من سيطرة التكنولوجيا على سياق حياة المستهلكين اليومية .
- لقد ناقش العالم «دينكرلى» (Dunkerley) سنة ١٩٩٦ م وجود التكنولوجيا كتطور وميزة بإزدياد مظهرين هما المقدرة الظاهرة على إمكانيتها فى توفير الإزدهار والراحة لكل شخص ، والمقدرة على تحقيق الربح للسلع والأدوات الأكثر قوة والتى يستطيع الداخلون لهذا المجال تحقيق أكبر ثروة ممكنة لفائدتهم الشخصية على المستوى العالمى .
- ويثير بعض المؤلفون الخوف من تولى المستثمرون فى مجال التكنولوجيا

إستقطاب المعادلة بين «الموسرون» و «المعدمون» كحالة وأشياء فى معايير التقدم التكنولوجى المتقدم لتحقيق مخطط منطقى للنظام الإقتصادى ، بحيث أن ذلك التعجل التكنولوجى لا يحقق العدالة من حيث الحجم الواسع ، والقوة فى المركز ، والمهارة الكافية ، حتى «أنها لا تمكث أكثر إلا فى نقطة لا تبعد عن حافة العدالة المجتمعية بقليل ، وتقذف أقل الإحتمالات الصادقة فى الرؤية الحقة بعيداً» (أبحاث العالم «راسل» (Russell) سنة ١٩٨٣ م .

- وبوصول ثورة الكمبيوتر والحاسبات الإلكترونية ، أصبح هناك ازدياد هام بالقوة المختفية للإبتكارات التكنولوجية وإمكانياتها لتحطيم حرية الإنسان خصوصاً فى سياق حشد المعلومات والبيانات المعالجة ، وقد قلت تلك الحالة بشكل بارز عند دمج أعمال التقدم بصناعة البيع بالمفرد ، حيث أن هذا النوع من البيع لا يهتم بمحاذاة التقدم التكنولوجى الحقيقى والذى يضع فى إعتباره المال اللازم ، والتكلفة الإنتاجية الضرورية .

- إن الصراع القائم بين منتجى أجهزة وتكنولوجيا التليفزيون ، وبين رغبة المستهلكون فى السيطرة على الأسعار أدى إلى حدوث خلل تكنولوجى قائم الإحتمال لكلا المنتجون وباعة المفرد الذين يضحون بنوعية الحاجات المنتجة اللازمة للسوق من أجل تسويق الناتج الكلى ، بحيث شعر المستهلكون أنهم أمام «أسواق مفروضة عليهم وسلع مثلها» بعد تمتعهم بالمثاليات الواضحة من قبل الإهتمام بالتكنولوجيا الفائقة فى مملكة الإنتاج .

- إن مسألة الإستهلاك والأمور الإجتماعية فى ظل مملكة التكنولوجيا أوجدت قضية إقتصادية هامة ، وهى أن المستهلكون يكسبون نقودهم من كونها جزء من عملية الإنتاج ويسير هذا النظام على هذا المنوال .

- مما يثير المسألة الجدلية عن أن التقدم التكنولوجى والاقتصادى يحتاج لأيدى عاملة قليلة بحيث تقل تدريجياً مع زيادة هذا التقدم ، مما تطلب الأمر إلى تبنى نظام أكثر كفاءة يساعد فيه النمو الإقتصادى على جذب الناس فى نظام أعلى فى الأجور – والتى قلت بسبب التقدم التكنولوجى – حتى يمكن لمستهلكون أكثر أن يشتروا سلع وبضائع ومنتجات أكثر .

- ومن هذا السياق فالمستهلكين قد تمتعوا بمقاييس أعلى من الحياة مما يبشر بإحداث قمة إنتقال ثورى فى العلاقة مع المحترف المنتج .

- ولأول مرة نحن ننظر إلى الإستعمال الواسع الإنتشار للتكنولوجيا كمنتجين بينما نحتاج فى نفس الوقت إلى إستخدام الناس لإستخدام تلك التكنولوجيا

والتى لم يتواكب مع كمية الإنتاج مما قد يدفع لتخفيض الإنتاج التكنولوجى منها .

- إن ازدهار العالم الصناعى يستند على ترتيبات من نسق الحياة حيث أن هناك أعمال تخلق منتجين ومستهلكين ، ومستهلكين يخلقون لحاجتهم أعمالا أخرى ، فدور التكنولوجيا فى هذه العملية هو فى إلغاء البطالة الناتجة عن التكنولوجيات العاطلة بخلق منتجات جديدة تجلب معها العمل بشكل نسبى تدفع إلى خلق فرص عمل .
- وطالما أن هذا المجتمع يتبع هذا الصنف من اللوبى الإنتاجى والإستهلاكى فسيبقى الخوف دائماً للحاجة إلى المعلومات بشكل تقنى ، بمعنى أن الحركة الإقتصادية ستستمر منساقة لا مركزية العمل إلى المدى يدفعنا إلى العمل نصف الوقت والتعاقد على هذا الأساس كمعيار منخفض التصرف والقوة ، مما يخلق «قاعدة تهديدية من إقتصاد المستهلك» تتعلق فى واقع الأمر «بالمستهلك الذى يعطى الأمر لإستخدام التكنولوجيا بوضوح قوى» ويعكس ذلك تأثيره على الإنشاء اليومى للمجتمع الإستهلاكى .
- وبهذا الإحساس يحدث الخوف من التكنولوجيا التى نستهلكها ، وكما عرض علينا إستهلاك التكنولوجيا ، على الأقل إلى المدى الذى نعيش فيه فى عالم تقنى يتزايد فيه الإلزام بأن نصبح سلبيون فى إستهلاك السلع الإستهلاكية المتوفرة بإزدياد ، وهى ببساطة لا تتحمل التكدس ، والضرورة المعرفية تؤكد جعلها بالكامل «إستهلاكية نشطة بصفة مبدئية» ، وهذه الوسائل وأكثر منها ليست من سلطة المستهلك أن يدع أثرها أو أن يكون مراقب لمظاهر التقنية لها فى عالم سيمته الإستهلاك .
- إن إستهلاك التكنولوجيا يتفاعل تماماً مع إغرائنا بوجود تفاعل داخلى نشط لشراء الفيديو ، والتليفزيون ، (CDS) وغيرها الكثير ، ولكن الأمر فى الحقيقة أننا لسنا أحراراً فى الإستسلام للإستهلاك ، فهو سيناريو لبرنامج يسير فى فلك مجموعة من البرامج تقودنا للدخول فى حلبة السياق الإنتاجى والإستهلاكى مما يؤثر – وفى النهاية – على مستقبل التكنولوجيا ذاتها ، وبالتالى التحليل النهائى للمستقبل الإنشائى للتكنولوجيا والرأسمالية نفسها والتى تقوى المستهلكين لشراء وإستهلاك التكنولوجيا المتوافرة اليوم على أساس توافر التكنولوجيا اليوم وغداً وربما فى أى وقت من المستقبل ، مما يخلق مجتمعا فائق التصنيع (أو مجتمع ما بعد الصناعى والذى يتميز بأكثرية المعلومات ودقتها ، مع التكلفة

الأكثر قلة وإلى ما لا نهاية بحيث يمكن إنتاج أصناف ذات فوائد للمستهلك وللأربحية الفائقة .

- إن الدعوة المستندة إلى إقتصاد الخدمة بشكل تقنى ما جاءت إلى الإستمتاع بالعلم والتكنولوجيا بل جاءت جلبا للراحة والإزدهار الكامل للعالم ، فالتكنولوجيا قد وضعت رجلا على القمر ؛ لكن ذلك ليس هو الأساس للتزود بالكميات الواسعة من الوقت الحر .
- ولكن الوقت الذى يجب توفيره هو صرف الأجور اللازمة للإستغلال والتمتع بالنزعة الإستهلاكية التى تتجدد بشكل ثابت من قبل المستهلكين الذين يطلبون الطرق الجديدة لكى يستهلكوا ، ومن ثم الإنطباع الراسخ هنا هو وصول التكنولوجيا إلى المستوى الذى يطلبه المستهلك ويكون فى قدرته ، ويكون فى مستواه ، ولكن الظاهر لنا أن وسائل دعم النزعة الإستهلاكية هو النمط المهيمن على حياتنا كمستهلكين .
- ويمكن لنا أن نتمنى بأن تزودنا التكنولوجيات بمفاجئات تعوضنا عن المخاطر بشكل أبدى ، فالتكنولوجيا عبارة عن حياة مضاعفة ، إحداها تتوافق مع نوايا المصممين وإهتمامات القوة ، والأخرى تتناقض بالتوالى مع الإنتاج غير المقصود للمصممين بنتائجه وإحتمالاته الغير متوقعة ، حيث أن دور التكنولوجيا يخضع للتغيير الجذرى فى السوق ، والطبيعة التقدمية للتكنولوجيا نفسها كطريقة قوية للحياة الفكرية فى عالمنا المعاصر .

obeikandl.com